مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (02) جوان 2023 ص ص 925-940

واقع الإنسان المعاصر
بين أدائية راؤول إيشلمان وائتمانية طه عبد الرحمن

The Reality of Contemporary Human between the performatisme of Raoul Ishalman and the Credit of Taha Abd El Rahman

ياسين خليلي*
المركز الجامعي نو البشير – البيض- (الجزائر).
البريد الالكتروني المهني: y.khalili@cu-elbayadh.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/12/04	2023/04/06	2023/06/01

الملخص: يهدف بحثنا إلى معرفة حقيقة وواقع الإنسان المعاصر والدور المنوط به في ظل تقلبات الحداثة، من خلال عرض نظريتين: إحداها غربية، والأخرى عربية، حاولتا الاعتناء بالرّوح الإنسانيّة التّي فتكت بها الحداثة وقيمها، مع عقد مقارنة بينهما لتوضيح مكامن القوّة والضعف في نظرتهما. أمّا المنهج الذي اعتمدناه في عرض نظريّة الأدائية والائتمانيّة هو المنهج التّحليلي الوصفي، ولتبيان أفضليّتهما اتبعنا منهجا مقارنا نتتبع فيه مواطن الزّلل حول إشكالية قراءة الواقع لدى الغرب ونظرتهم للإنسان، ومكامن القوة في نظرة طه عبد الرحمن. وقد تم التّوصل إلى النّتائج التّالية: إيديولوجية النّظرة الغربيّة للإنسان والواقع، وقصورها على مجالات ضيّقة، في المقابل نجد أصالة نظرة طه عبد الرحمن وتكاملها، وكونيّتها كونها أوامر ربّانية وليست قراءات عقلانية فقط. ومن هذا المنبر ندعوا الدارسين لطه عبد الرحمن أن يثمّنوا نظريته الائتمانية والتّرويج لها، لأنّها نظريّة أصيلة متأصّلة في الدّين الاسلامي.

الكلمات المفتاحية: *طه عبد الرحمن؛ راؤول إيشلمان؛ الائتمانية؛ الأدائية؛ الانسان.*

Abstract: Our research aims to understand the truth and reality of the contemporary human and the role assigned to them in the midst of the fluctuations of modernity. Through presenting two theories, one Western and the other Arab, we attempted to care for the human spirit that was affected by modernity and its values, while holding a comparison between them to clarify the strengths and weaknesses in their

* **المؤلف المرسل**

perspectives. As for the methodology we adopted in presenting the performatisme and credit theories, it was analytical and descriptive. To demonstrate their superiority, we followed a comparative approach where we traced the sources of error in the problem of reading reality in the West and their view of humanity, as well as the strengths in Taha Abd El Rahman's perspective. The following conclusions have been reached: The ideology of the Western view of humanity and reality is limited to narrow areas, while Taha Abd El Rahman 's perspective is authentic, integrated, and considered divine commands rather than just rational readings. From this platform, we call on researchers of Taha Abd El Rahman to appreciate his credit theory and promote it, as it is an authentic theory rooted in the Islamic religion.

***Keywords**: Taha Abd El Rahman; Raoul Ishalman; Credit Theory; performatisme; Human*

مقدمة:

يمثّل الانسان المادّة الخام الأساسية التّي جُبلت على مؤهّلات عقلانية وفكريّة، تجعله يعرف نفسه وغيره والعالم من حوله، هذه الجاهزيّة للتّفكير والتّغيير جعلته يخوض غمار متطلّبات الزّمان ومقتضيات الأحوال، فساهم بتفكيره في بناء الأمم والحضارات؛ حيث غدت الحضارات رهينة جاهزيّة هذا الانسان، وحبيسة دوره في بناءها. كما أنّ المتتبّع لحركة التّاريخ يتّضح له كيف تطور الانسان وطوَّر العالم والطّبيعة، بل وساهم في اكتشافات عديدة ومتسارعة، حين أطلق العنان لعقله في خوض المعالم التّكنولوجية، خاصّة في الآونة الأخيرة مع ظهور الحداثة، وما بعد الحداثة.

إنّ حرية التّفكير الإنساني المعاصر، جعلت منه سبّاقا إلى التّطور والتّقدم، وميالا إلى المادّة، وذلك بخلق تطوّرات متسارعة، ونظريّات عصريّة متنوّعة، هذه الحريّة كان نتيجتها تطوّر غادر وتكنولوجيا فتّاكة، وبيولوجيا قاتلة، فتكت بإرادة الإنسان الرّوحية والماديّة، فأنقلب السّحر على السّاحر، وسيطرة الآلة والمادّة على العالم وعلى الشّعوب، حتى جُرَّد الانسان من إرادته ودوره وعقلانيّته، فأصبح مجرد متلقي سلبي لما هو موجود لا غير، ومجرد آلة تحرّكها تكنولوجيا وتقنيّات معاصرة. الأمر الذي تفطّن له بعض المفكّرين الغرب أمثال راؤول إيشلمان (Raoul Eshelman) منتقدا مرحلة ما بعد الحداثة ومحذّرا من الاستمرار في ممارسة تعاليمها، والانصياع لمخلّفاتها، وخاصّة في الوقت

الذي أصبح بناء الإنسان من أكبر التّحدّيات التّي يمكن أن تواجه عمليّة التّطوّر، لذا كان الانسان محور اهتمامه كونه اللّبنة الأساسيّة النّهضة والتّغيير، لقد افترض إيشلمان(Eshelman) أنّ الأدائيّة (performatisme) هي المخرج الوحيد لأزمة ما بعد الحداثة، إذ يستعيد فيها الإنسان مكانته ودوره الفعّال في كل أنماط الحياة، فيكون فكره فاعلا وأدائيّا في جميع مناحي الحياة، موضّحين فيها الدّور الجديد المنوط بالإنسان في هذه المرحلة- بعد ما بعد الحداثة- للخروج من هذه التّقلبات والإخفاقات التّي مرّ بها الإنسان من خلال نظريّته <<الأدائية>> (performatisme).

ممّا لا شكّ فيه كذلك، أنّ الإنسان سيّد المخلوقات كُلّف بحمل أمانة كبرى، وخُصّ بآليات كثيرة لحمل هذه الأمانة كالعقل والأخلاق والدّين، بل وجُبل على ذلك، لكن صيرورته التّاريخية وتعامله مع متطلّبات الزّمان ومتغيّرات الأحوال جعل منه كائنا متفرّدا بخاصية فقط من هذه الخصائص، ووهي العقل، هذا ما جعل بعضا من المفكّرين يوجّهون نقدا لاذعا للحداثة وتقلباتها وتنوعها، سواء عصر الحداثة أو ما بعدها أو بعد ما بعدها، وذلك مع المفكّر المغربي طه عبد الرحمن، حيث أبدى لنا طرحا إسلاميا بديلا للحداثة وتقلباتها. والذي يشرّف الانسان ويجعل منه كائنا أخلاقيا متديّنا، وذلك من خلال نظريّته << الائتمانيّة>>.

وسنقف في هذا الورقة البحثيّة حول أبرز النّظريات النّقدية للفكر لما بعد الحداثي سواء من الغرب أنفسهم كما عند <<راؤول إيشلمان>> (Raoul Eshelman)، أو من طرف العرب أمثال << طه عبد الرحمن>> الذي أنتقد الحداثة وتقلّباتها.

تتجلّى أهمية هذا البحث في معرفة نظرة كلّ من << راؤول إيشلمان>> (Raoul Eshelman) و << طه عبد الرحمن>> إلى الانسان والدّور المنوط به في عصرنا الحالي، وكيف يستعيد إنسانيّته ومكانته التّي فتكت بها قيم ما بعد الحداثة.

أما الإشكاليّة الرّئيسة التّي سنجيب عنها في مقالنا هي: هل يُعرف الإنسان بأخلاقه ودينه أم بعقلانيّته؟ وأيُّهما أجدر للحفاظ على مكانته ودوره في عالمنا المعاصر؟

وللإجابة على هذه الإشكاليّة، سنجزئها إلى أسئلة فرعيّة تتمثّل في: ما نظرة إيشلمان (Raoul Eshelman) للإنسان والدّور المنوط به في ظلّ الأدائية (performatisme)؟ وما نظرة طه عبد الرحمن للإنسان والدّور المنوط به في ظلّ الائتمانية؟ وأيّ النّظرتين تحمل بذور بقائها؟

ويهدف بحثنا إلى معرفة ما يزخر به ديننا من تراث متكامل يتجلى في اتباع تعاليم الإسلام والعقل المؤيّد، كونه المنطلق البديل لتحقيق التّقدم والتّجديد الإسلامي في ظل قيم الحداثة التّي تفتك بتراث الآخر، وأنه يحمل بذور بقائه في طياته.

أمّا المنهج الذي اعتمدناه في عرض نظرية الأدائية (performatisme) والائتمانية منهجا تحليليّا وصفيّا، ولتبيان أفضليتهما اتبعنا منهجا مقارنا نتّبع فيه مواطن الزّلل لقراءة إشكاليّة الواقع لدى الغرب ونظرتهم للإنسان، ومكامن القوّة في نظرة طه عبد الرحمن.

1. حقيقة الإنسان والدّور المنوط به في أدائية راؤول إيشلمان (Raoul Eshelman):

يرى إيشلمان (Raoul Eshelman) أنّ الإنسان ضحيّة من ضحايا ما بعد الحداثة التّي أدّت إلى تشييء الانسان، وإهمال إنسانيّته، وأصبح دوره كجزء مكّمل من الآلية الصّناعيّة، وبالتّالي فقد الإنسان أداءه وفعله ودوره، لذا وجب عليه مقاومة مخلّفات ما بعد الحداثة من خلال نظرية الأدائيّة التّي تعيد للإنسان مكانته والدّور المنوط به، من خلال المهام التّالية:

1.1 الوعي بالواقع: يرى إيشلمان أن مرحلة ما بعد الحداثة هي مرحلة تراجع فيها دور الإنسان، وأصبح كفئران تجارب للتقنية التّي أفرزتها هذه المرحلة، ممّا جعله إنسانا مستهلكا مقيّدا، فاقدا لثقته بنفسه بل وحتّى بالعالم، جعلته مقيّدا بقوانين الطّبيعة وبالأثر الاجتماعي وخاصّة اللّغوي منه، في ظل السّياسة الغربيّة والشّرقية على حد سواء، وتحت

تأثير سيطرة التّقنية والتّقدم الصناعي، وسيطرة المادّة وإهمال الأخلاق، ليعلن بذلك موته وانتحاره، لذا أوّل خطوة تمكّنه من استعادة نفسه ودوره هو الوعي بالواقع الذي يعيشه، وبالأسباب التّي جعلته مهمّشا، حتى يتسنّى له الثورة عليها ومحاربتها ببدائل أنجع وأقوم. فالإنسان في مرحلة ما بعد الحداثة مقيد بمجتمعات مصطنعة فهو كالآلة في يد قيم الحداثة وما بعدها، من ثورة لغويّة وبنيويّة وابستيمولوجية وتاريخيّة، تحاول فصل المعنى عن الوعي، وإبعاد اليقين عن المعرفة (سبيلا، 2007، صفحة 14).

2.1 الرغبة في التّغيير والتّجديد عن طريق الأداء: إنّ الإنسان المعاصر يتوجّب عليه أن تكون له إرادة جامحة للتّغيير، وذالك من خلال إبراز دوره في تغيير العالم واسترجاع مكانته من خلال تعميق الأداء والأدائية (performatisme) في نظر إيشلمان هي: <<الحقبة التّي ابتدأ فيها التّنافس المباشر، أو الإزاحة بين المفهوم الموحّد للعلامة، واستراتيجيات الغلق من ناحية، والمفهوم المتشظي للعلامة واستراتيجيات انتهاك الحدود المميّزة لما بعد الحداثة من ناحية أخرى>> (أماني، 2013، صفحة 322). فمن هذا المنطلق يتّضح لنا أنّ الإنسان لن يستعيد مكانته في الوقت الراهن إلا بالثورة على الأفكار التّي همّشته وانتهكت حرّمته، وخاصّة أفكار ما بعد الحداثة، ثم يؤصّل لفكر يستعيد فيه أنفاسه ويقوّي فيه نوازعه العقلانية، فإيشلمان (Raoul Eshelman) يرى أنّ الخروج من أزمة ما بعد الحداثة لا يكون بتقوية تقنيّاتها وتضخيم دورها، بل على العكس من ذلك وجب تقزيمها وتقزيم دورها باستبدالها بفكرة الأداء والإنجاز، فالإنسان يكون في مرحلة الأدائيّة فاعلا واعيا لذاته وواقعه ومجدّدا، فالأدائيّة (performatisme) تنظر إلى الإنسان بعدّه وحدة كليّة غير قابلة للاختزال (رحمة م.، 2011، صفحة 511) .

3.1 الأدائية تجعل الانسان فاعلا لا خاضعا لقوى خارجية: إنّ الأدائيّة العمليّة تجعل الإنسان قادرا على إبراز مهامه كإنسان عن طريق الأداء والممارسة العملية للفكرة التي يؤمن بها، فهو بهذا يكون لد دور فعال في الواقع ويجعله يعيش في تفاؤل مستمر، ويسعى

لتحقيق ما يؤمن به، مديرا لواقعه لا متفرّجا كما كان في عهد ما بعد الحداثة، إذ أنّ هذه المرحلة التّي يعيشها الإنسان تختلف عمّا سبقتها، كونه ينتقل فيها من الاستسلام والخضوع إلى الفاعلية والتغيير والتجديد (أماني، 2013، صفحة 16)، فيُحسَّن من أداءه وممارسته العملية لما يؤمن به، فتخلق له هذه الدّافعيّة شعور بالتفاؤل إزاء واقعه ومستقبله، وهذا التّفاؤل يضمن للإنسان إيمانه العميق بقدراته، بل ويجعله يسعى جاهدا لتحقيق مآربه، عن طريق الاهتمام بالعلم والمعرفة وخاصّة تقارب حقلي البيولوجيا والتّكنولوجي (أماني، 2013، صفحة 142).

4.1 القدرة على الإبداع: إن زيادة العمل والفاعليّة لدى الانسان المعاصر وعدم الركّون إلى الآلة تجعله يبتكر مفاهيم ونظريات جديدة، تُخوّل له العيش الرّغيد والتّحكم في زمام الأمور والتّخلّص من زمام التّبعية للآلة، بل ويكون قادرا على تجاوز الواقع وما يفرضه من قيم وممارسات تجعل منه متشائما، بمعنى الانتقال من مفاهيم تشاؤميّة كالموت والفراغ وعجز الذّات إلى مفاهيم تفاؤليّة مثل البعث والتّطهير والعبادة (رحمة م.، 2011، صفحة 534). فالإنسان المعاصر مُلزم بتطهير العقل والواقع ممّا لحق من أزمات انعكست على الإنسان بالسّلب، والالتّزام بالأخلاق التّي تحترم خصوصيّات الإنسان، والأداء الفعّال الذي ينمّي قدرات الإنسان ويجعله مغيرا لا متغيّرا، فاعلا لا مجرد آلة، فالأدائيّة (performatisme) كما يرى إيشلمان (Raoul Eshelman) جاءت لتكرّس الأداء الإنساني في الوجود، وتعمق دوره الفعّال، فالأداء يكمن في إحداث التّغيير وإدراج أشكال ونماذج جديدة، والرّجوع إلى الأصالة (المحمداوي، 2021، صفحة 209) .

5.1 ربط التّجربة الفنيّة والأدائيّة بالإيمان: تسعى الأدائية جاهدة إلى استعادة الوجود الذّاتي للإنسان وإيمانه بنفسه وبقدراته، عن طريق إتاحة الفرصة له لإبداء تجربته الفنيّة والأدائية (performatisme) المرتبطة بالإيمان بدل الاحتكام الكلّي للعقل، وإنّما يكون الاحتكام للممارسة العمليّة (أماني، 2013، صفحة 342). فالعقل في بعض الأحيان ينتج

أفكارا مجافية للواقع وصعبة التّحقيق، بل من الممكن أن تعود على صاحبها بالسّلب إذا لم يقيّد عقله بالإيمان بالفكرة والممارسة العملية للفكرة، حتى يتأكد من صحّة فرضيته عن طريق التّجربة والممارسة العمليّة.

6.1 استثمار للذات المفكرة، وتعزيز الإيمان بالنفس: إن الانسان المعاصر استفاد من أخطاء ما بعد الحداثة، والأدائية أتاحت له الفرصة لإبراز مواهبه، وتقليص المسافة بينه وبين الواقع التي كان من قبل في عهد ما بعد الحداثة، وذالك عن طريق تعزيز الإيمان بذاته، وتكريس أدائه في الوجود والواقع، وخاصة الأداء العملي والذي يتجلى في الممارسة العملية للفكرة التي يؤمن بها.

2. حقيقة الإنسان والدّور المنوط به في انتمائيّة طه عبد الرحمن:

لقد انطلق طه عبد الرحمن من نقده للأفكار السّائدة في عصره حول حقيقة الإنسان، والدّور المنوط به، وحقيقة الأخلاق، رافضا الشّعارات التّي يتشدّق بها الغرب، ومن سار على نهجهم من مفكرّي العرب، وداعيا إلى تأسيس نظريّة متكاملة ودقيقة تبيّن عظمة الإنسان كونه خليفة الله في الأرض، ومسؤوّل لأنّه كُلف بأمانة، وهذه النّظرية قد أطلق عليها اسم الائتمانيّة ويعرفها بقوله: " إنّ تمتع الإنسان بحريّة الاختيار منذ وجوده في العالم الغيبي، يجعله يرجع العمل التّعبّدي والعمل التّدبيري في العالم المرئي إلى أصل واحد هو الائتمان الإلهي" (طه، 2012، صفحة 449) ومن هذا التّعريف يتّضح أنّ الإنسان في نظره مسؤول ومسؤوليّته تقتضي منه القيام بمهام أخلاقيّة دينيّة متأصّلة ذات مرجعية ائتمانيّة ومن بين هذه المهام:

1.2 الإنسان كائن المسؤوليّات: يرى طه عبد الرحمن أنّ الانسان كائن المسؤوليات، حمل الأمانة بفطرته وسجيّته السّليمة، وبإرادته الحرّة، وهذه الإرادة والسّجية الصّحيحة تخلق له استعداد كلّيا لتحمّل المسؤوليّة (طه، 2012، صفحة 453). فالإنسان هو الكائن الوحيد المخيّر، والذي يملك الإرادة، لكن إرادته هذه مرهونة بالمسؤوليّة التّي نقع على

عاتقه، وبالخيريّة التّي فُطر عليها كونه خيِّر بطبعه جُبل على الخير والفطرة الصّحيحة، ومنحه الله العقل للاختيار، فالاختيار يقترن بالقيم الخلقيّة من خير وحُسن، وقول صادق وصلاح. وتقتضي خيريّة الإنسان الامتثال لأوامر الله سبحانه، وتعالى وللخطاب الشّرعي عامّة، لأنّ الإنسان يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى رؤوف بعباده، وأوامره كلّها خير وصلاح للبشريّة. لأنّ " الأخلاق مأخوذة من الفطرة" (طه، 2014، صفحة 100).

حدّد المولى سبحانه وتعالى للإنسان منذ بداية الخلق مسؤولية الإنسان قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية: 30)، كما بيّن له طبيعة هذه المسؤوليّة وشروطها؛ والتّي تتجلّى في إعمار الأرض وفقا لإرادة الله الذي استخلفه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب: الآية: 72). فيتوجّب على الإنسان الامتثال للخطاب الشّرعي، وأوامره، لكي تتحقّق مسؤوليّته، فلا تكليف بدون حرّية وقدرة على الفعل أو التّرك، وهذه القدرة تقتضي السّؤال عن الأداء والالتّزام.

2.2 مراعاة حكم الشّرع في كل الأعمال: يتوجّب على الإنسان المؤمن أن يراعي حدود الله، وأن يعلم علم اليقين أنّ الله شاهد مطّلع على أعماله الظّاهرة الباطنة، لذا علينا أن نستحضر أن نضبط أنفسنا بقيم دينيّة، لأنّ "استحياؤك هو أن تخاف أن يشهدك من تدعي حبّه حيث نهاك، وأن لا يشهدك حيث أمرك" (طه، 2012، صفحة 276).

فعمل الإنسان متعلّق بالدّين، ومتحقّق بحصول هذه الشّهادة الإلهيّة، وقد استشهد طه عبد الرحمن بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بني ادم مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 172-174). فالله سبحانه وتعالى خلق آدم، أخذ ميثاقه أنّه ربّه، وكتب

أجله واستخرج ذريّته، وأخذ ميثاقهم، وكتب آجالهم، وأرزاقهم وأشهدهم على أنفسهم، كما أشهد بعضهم على بعض وهو عين الشّهادة.

3.2 التّدبر الآياتي للكون لا التّفكير الظّواهري: إنّ الكون أجمع الخلق لخدمة الإنسان، وفي آيات ومعجزات تستدعي التّدبّر والتّفكّر، لزيادة الصّلة بين العبد، فالعالم آيات وليس ظواهر كما يتشدّق بها الغرب، فعقل الإيمان ينظر في الآيات ويُسمى تفكّراً وتدبيراً لأن "اتصال الدّين بالعالم عبارة عن اتّصال آيات لا اتصال ظواهر" (طه، 2014، صفحة 95).

4.2 اعتبار الدّنيا ومتاعها مجرّد ودائع: يتوجب على الإنسان أن لا يجعل همّه الوحيد هو الدنيا ونعيمها كما فعل الغرب حتى فتكت بالإنسان واستبدت بإرادته، فالكون بما فيه ينسب إلى خالقه، والدّنيا ونعيمها مجرّد ودائع، لذا إذا أحسن التّصرف فيها وراعينا حدود الله فسننال زيادتها وبركتها، وآثارها على الرّوح وعلى الواقع في تحقيق التّوازن الاقتصادي والاجتماعي فـــ"الأشياء ودائع عند الإنسان" (طه، 2014، صفحة 98)، فطبقا لهذا الدّور تتغيّر علاقتنا بالأشياء المملوكة من صورة الامتلاك إلى صورة الائتمان ومراعاة حدود الله في ما رزقنا، وأنّنا مستخلفين في هذا الرّزق، ونعتقد إيقانا أنّ المال مال الله، وهو وديعة في أيدينا.

5.2 الإنسان كائن أخلاقي متديّن مؤتمن: يُعرف الانسان بأخلاقه وبها يسعد في الدّارين لأن هذه الأخلاق ترتبط ارتباطا وثيقا بالدّين الذي منه نستمد القيم الأخلاقيّة ونقوّمها، كما أنه مسؤول مثلما أشرنا في الدّور الأوّل، فهناك علاقة آياتية بين الدّين والأخلاق "أنّ الدين بجمعيّته أخلاق" (طه، 2014، صفحة 103).

وللوصول إلى الأخلاق المطلقة وجب التّحلي بالأسماء الإلهيّة والاعتقاد بها كاملة مطلقة منزّهة عن كلّ عيب، وبأوامر الخلق وبصفاته من شروط بلوغ التّأييد، كون أنّ هذه الأوامر مرجعيّة دينيّة متكاملة.

6.2. ربط العلم والمعرفة العقليّة بالتّوحيد والمعرفة الغيبيّة: إنّ الإنسان يتوب عليه ربط معرفة ومداركه بالتّوحيد والعمل "فالعنصران المكوّنان للدّين هما <<الإيمان>> و<<العمل>> وقع تحييدهما في بناء هذه الأخلاق" (طه، 2012، صفحة 123) ، لذا يجب على الإنسان سلوك الطّريق الصّحيح حتى يسعد في الدّارين في تفكيره، وأن يسلك كل طريق يقرّبه إلى الله، ويكون مؤيّد بالشّرع وأحكامه، لأن معرفة الظّواهر تدفعنا إلى معرفة خالقها، ومعرفة الخالق تقتضي إخلاص العبوديّة له.

3. مقارنة بين أدائية راؤول إيشلمان، وائتمانية طه عبد الرحمن:

بعد عرضنا إلى نظرة كل من راؤول إيشلمان وطه عبد الرحمن إلى الدّور المنوط بالإنسان في ظلّ الحداثة وتقلّباتها، أنّ كلا النّظريتين اهتمت بالإنسان، وأرادت أن يكون هو المسيّر لدواليب الواقع، وأن ينفلت من جبروت الآلة وطغيانها، وأن يكون حرّا وليس مقيّدا بنظام يفتكّ ويستبدّ بإنسانيّته، وأن يكون فاعلا مغيّرا ومجدّدا، مركّزين في ذلك على العمل والممارسة، وربطها بالإيمان.

لكن هذه البنود العريضة التّي يبدو للعيان أنّ المفكرين في اتفاق نظرتهما إلى الدّور المنوط بالإنسان ليكون فاعلا مجدّدا، ولكنّهما في الحقيقة يتّفقان في المفاهيم، ويختلفان في معانيها ونسبتها وتأصيلها، وهذا ما خلُصنا إليه في هذه الورقة البحثيّة، معبرين عن ذلك بالنّقاط التّالية:

أ- الأدائيّة (performatisme) تهدف إلى استرجاع هبة الإنسان ومكانته، بإعطاء الأصالة له بعيدا عن المعتقد، عن طريق الرّجوع إلى العهد الأوّل للحداثة وصقلها بطلاء العمل والأداء لا غير، فبعدما كانت الحداثة هي عصر الحداثة في قالب عصري، ذلك لأنّ << الحداثة فلسفة ظهرت منذ عصر النّهضة وما بعدها، مقابل الأديان الإلهيّة، الأديان التّي تستند إلى الغيب وما وراء الطّبيعة، وقد حدّدت هدفها بإعطاء الأصالة للإنسان>> (شريعتي، 2007، صفحة 10). بينما الائتمانيّة تهدف إلى الرّجوع إلى الغاية من الخلق،

وهي العبادة، والاهتمام بالدّين والتّصوف والأخلاق، وأنّ العقل المؤيّد هو أعلى المراتب، وخلق الانسان الكوثر وهو <<القدرة على استثمار كل الإمكانات والملكات قصد النهوض بوظائف عملية متعدّدة، تحقّق له التّكامل لذاته مستندا في ذلك إلى الإيمان>> (طه، 2016، صفحة 54)، مشيرا في ذلك إلى أنّ إنسان الحداثة وتقلّباتها من حداثة وما بعدها وبعد ما بعدها، يستند إلى مرجعيّة غير متأصّلة، بل ومرتبطة بالمنفعة والذّاتية، وهذا ما يجعل الإنسان مبتور الوجهة والمآل، عكس الإنسان، فالكوثر في الإسلام يستند إلى مرجعيّة دينيّة متأصّلة، قدسية متكاملة، كونيّة متماسكة لا يزيغ عنها إلّا هالك.

ب- الأدائية (performatisme) جاءت كثورة على عهد ما بعد الحداثة، وجاءت بنظريّات جديدة تخص فقط جانبا من جوانب الإنسان كالأداء والفعل فقط، أغلبها ركّزت على الفنون والأدب والنّقد، ولم تشمل جميع جوانب الحياة الماديّة والمعنوية، بينما الائتمانيّة فكر متأصّل في التّراث الإسلامي ومتكامل، ويستند إلى التّصوف وهو عقل يهتمّ بمعرفة الذّوات عن طريق الأخلاق العمليّة والتّجربة الذّوقيّة، وفق درجات حدّدها طه عبد الرحمن، كالمزاولة التّي تحقّق الأنس والسّكينة، ثم الملابسة والمباطنة التّي تحقّق الطّمأنينة التّي تساعد في تحمّل المعيقات وتزيد من قوّة الصّبر، والمحبّة التّي توطّد علاقة العبد بربّه (طه، 1997، صفحة 136).

ت- الأدائيّة (performatisme) أشارت إلى الانتقال من النّظرة التّشاؤميّة كالموت والفراغ إلى النّظرة التّفاؤليّة كالعبادة والتّطهير، لكن هذا التّطهير والعبادة لا يستند إلى معالم عقائدية متأصّلة، ذلك لأنّ الأدائية ترفض أن يقيّد الإنسان بعقيدة ما، وإنما يعملون في حرية ووفق ما يمليه عليه ضميرهم. بينما الائتمانيّة أشارت إلى ضرورة العودة إلى الإيمان وإلى التّصوّف بغية التّجديد والتّقدّم، والإيمان هو الّذي يوحّد البشر، لأنه مصدر إلهي قدسي. << لأنّ " كون الفطرة تحقق الوصل بين الخلق والأمر الإلهيين ليؤكد أنه لا وجود إلا وهو مستمد من الخلق إبداعا وإحداثا>> (الكور، 2017، صفحة 102).

ث- الأدائية (performatisme) تدعو إلى الرّجوع إلى الذّات والإيمان، لكن المقصود بالذّات هنا ليس الرّوح والإيمان ليس العقيدة، وإنّما تكرّس الحريّة الشّخصية للأداء دون تقييد، وهذا ما يجعل الاختلاف قائما بين الأدائيين والتّجربة الشّخصية لديهم، وبالتّالي تخلق لهم مشاكل جمّة، بينما الائتمانيّة تتوق إلى تربية الرّوح والنّفس، وإخلاص العمل لله، لا لمنفعة معينة، فيتحقّق بهذا التّكوثر والتّنوير إذ<< أنّ الرّوح متى تدفق فيها الإيمان وتاقت إلى كمال العقل تحرّكت الدّواعي، والجوارح في أثرها، على مقتضى هذا الإيمان الدفاق الذي يتحقق به التّكوثر، والعمل التّواق الذي يتحقق به التّنوير>> (طه، 2016، صفحة 51) .

4. خاتمة:

وصفوة القول التّي نخلص إليها من خلال هذا المقال، أنّ الواقع الإنساني يولد الفكرة القبلية للابتكار والإبداع، والإبداع ينزع إلى تغيير الواقع، في علاقة تأثير وتأثّر، تأخذه صفة التّجاذب والاتّصال من جهة، وصفة التّنافر والانفصال من جهة أخرى، ولفك اللغز القائم بين هذه المتناقضات، والتّجاذبات خلصنا إلى النّتائج التّالية:

- سعي كل من الائتمانية والأدائية إلى الاعتناء بالإنسان والدور المنوط به، وتعزيز القيم الروحية والإيمان بالتجربة والممارسة العملية، بالرغم من اختلاف المنابع والمصادر، كما تسعيان إلى تغيير الواقع وجعله نعمة على الانسان لا نقمة، وتسخيره وفق ارادته عن طريق الأداء أو المسؤولية.

- الحداثة وقيَّمِها حتمية تاريخية، وضرورة ملحة على الشعوب، وحققت نجاحا ونتائج ايجابية على الصعيد العالمي لا يمكن إنكاره، والأدائية أعادت للإنسان قيمه والدور المنوط به الذي هُمش في مرحلة قبلها.

- الحداثة وتقلباتها:مثل ما بعد الحداثة وبعد ما بعد الحداثة، تعبر عن مدى سعي الانسان المتواصل في تحقيق ذاته واثبات هويته، وتبين عن مدى قدرة الانسان على تغيير

العالم. بغض النظر عن إيديولوجيتها. فهي بحق أتاحت الفرص للإنسان في الكشف عن ما كان مبهما سابقا، وساعدته على التطور.

- متطلبات الزمان ومقتضيات الأحوال، هي التي تطرح الفكرة القبلية على الباحث وعلى الانسان عموما، محاولا البحث عن حلول للمشاكل التي يعيشها، الحداثة جاءت كرد فعل على سلطان الكنيسة وما بعد الحداثة جاء بالتطور كما يمسه البعض تطور أعمى، وكل هذا يعبر عن مدى صيرورة الانسان في التاريخ.

- الأدائية (performatisme) أعادت للإنسان مكانته حتى وإن كانت نظرة ونظريّة محدودة لها هدف واحد تنحصر في الفنون والأداء المسرحي والنّقدي والتّفاعلي والعملي فقط، أين تكمن التّغذية الروحية هل في إخراج المكبوتات كما يدعون، ألهذا خُلقنا؟

- الحداثة وما بعدها وبعد ما بعدها نشأت في ديار غيرنا – الغرب- وبالتالي هي تعالج زمان معين ومكان معين لا تصلح لنا كمسلمين، أو نتجرعها بالكامل، بالرغم مما حققته من نتائج ايجابية على المستوى العالمي، إلا أنها محدودة وناقصة.

- العرب لهم واقع وعقيدة خاصة من الطبيعي أن يعالجوا واقعهم وفق ما يعتقدون ووفق ما يعيشون، دون نسيان الواقع الحداثي الذي نعيش فيه. فالمسلمون أعزّهم الله بالإسلام، فإذا تركناها أذلّنا الله، فالسّلف الصّالح الذي اتّبع تعاليم الشّرع ولم ينبهر بهذه الصّور المفبركة للحداثة، حقّق نهضة وحضارة علميّة ودينيّة وتفوق جميع الميادين، بل وكانت الحضارة الإسلاميّة منبع الحضارات في شتى الميادين، فغيّر الغرب بعض المفاهيم والصّور فاتبعناهم وأهملنا قيمنا. فلما لا نستخدم الحداثة وقيمها في نشر الإسلام وتعاليمه، بدل من التهجم عليها.

- الإنسان كائن مخلوق، خلق للعبادة وبُعثت له رسلا بشر مبشرين بالجنّة ومنذرين من النّار، يعلمونه دينه، ودروب حياته لكي لا يزيغ عنها، وحدّد الشّارع حدود للعقل العقل البشري لا يمكنه الخوض فيها بل التّسليم بها من باب الاعتقاد لأنّها تفوق طاقات

البشر، كالغيب مثلا، فيتوجب على الانسان الامتثال إلى الدّين الإسلامي المتكامل، مع عدم نسيان الواقع ومجرياتها، بل يجب تكييف التراث وفق الواقع وما يفرض من قيم حداثية.

- الائتمانية نظريّة إسلامية متكاملة تمسّ جميع جوانب الحياة الدّنيا والآخرة، وهي مستمدّة من صميم الدّين الإسلامية، وتعتمد على التّصوّف والعقل المؤيّد، وهذا العقل لا بد له عقل فلسفي حداثي حتى نتمكن من الولوج إلى الواقع، ولا نبقى مجرد منظرين ونعيش لأنفسنا فقط. فنظرية طه عبد الرحمان كذلك يمكن القول أنه فيها شيء من الذاتية والإيديولوجية.

- ضرورة الرّجوع إلى الإيمان وإلى التّراث الإسلامي الأصيل، قصد التّغيير والتّجديد، وقصد النّهوض بالأمّة الإسلامية، مع احترام ثقافة الغير. فبعد ما بعد الحداثة أعادة للإنسان مكانته حتى وان كانت نظرة ضيقة في مجال معين، غير أنه لا يمكن تجاهلها بغية التطور والاندماج في العالم، بل ويمكن استعمالها في المكان الصحيح.

وفي الأخير ندعو المفكّرين الغيورين على الدّين الإسلامي، أن يُثمّنوا النّظرية الائتمانيّة لطه عبد الرّحمن ويؤصلونها، وفق ويستخرجوا منها العبر والفوائد، القوانين والمراسيم، لأنّها بحق نظريّة قويّة من حيث مفاهيمها، ومن حيث بناءها وتأصيلها، دون نسيان ما أمده لنا الغرب من قيم حداثية تساعدنا في فهم الواقع والتأقلم معه، فقد سخر الله لنا من يعيننا على أداء الأمانة التي كُلفنا بها، فكل مُيسر لما خُلِق له.ولا نكون كالإمّعة في رقابنا لجام غربي، فالإسلام والإيمان والتّصوّف هو طريق الرّشاد، والأداء والتعقل والممارسة العملية للفكرة سلاح التعرف على الذات، فلا التصوف لوحد يكفي لفهم الواقع، ولا التعقل والإيمان بالفكرة والأداء يكفي وحده لتجسيد ذلك، وبالجمع بينهما يتحقق الدور المنوط بهذا الانسان في هذا الوجود، فعن طريق الإيمان نكتشف ذاتنا وعند اكتشافها نلج

إلى التصوف قصد إدراكها، ووصلها بالخالق ثم بعدها نرجع للأداء لممارسة الحقيقة الصافية التي أدركناها عن طريق الذوق.

5. قائمة المراجع:

أبو رحمة أماني. (2013). *نهاية ما بعد الحداثة إرهاصات عهد جديد* (المجلد الأولى). بغداد: دار ومكتبة عدنان.

إسماعيل راجي الفاروقي. (2014). *التّوحيد مضامينه على الفكر والحياة*. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر.

أماني أبو رحمة. (2013). *نهاية ما بعد الحداثة إرهاصات عهد جديد* (المجلد الأولى). بغداد: دار ومكتبة عدنان.

عبد الجليل الكور. (2017). *مفهوم الفطرة عند طه عبد الرحمن* (المجلد الأولى). بيروت- لبنان: المؤسسة العربية للنشر والابداع.

عبد الحميد أبوسليمان. (1995). *قضية المنهجية في الفكر الاسلامي* (المجلد الأولى). الرياض: الدار العالمية للكتاب الاسلامي للنشر والتّوزيع.

عبد الرحمن طه. (1997). *العمل الديني وتجديد العقل* (المجلد الثانية). لدار البيضاء- المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن طه. (2012). *روح الدين من ضيق العلمانية الى سعة الائتمانية* (المجلد الثانية). الدار البيضاء- المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن طه. (2012). *سؤال العمل بحث عن الأصول العملية عن الفكر والعلم*. الدار البيضاء- المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن طه. (2014). *بؤس الدهرنية النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين*. بيروت- لبنان: الشبكة العربية للأبحاث.

عبد الرحمن طه. (2016). *من الانسان الأبتر الى الانسان الكوثر* (المجلد الثانية). (مرحوم رضوان، المحرر) لبنان . بيروت: المؤسسة العربية للفكر والابداع.

عبد الرحمن طه. (2017). *دين الحياء من الفقه الائتماري الى الفقه الائتماني* (المجلد الأولى). بيروت- لبنان: المؤسسة العربية للفكر والابداع.

عبد الرحمن طه. (2018). *ثغور المرابطة مقاربة ائتمانية لصراعات الأمة الحالية* (المجلد الأولى). الرباط- المغرب: مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الانساني.

علي حمد المحمداوي. (06, 2021). بعد ما بعد الحداثة دراسة في الأدائية بوصفها مشروع اعادة الانسان. *مجلة المفكر*.

علي شريعتي. (2007). *الانسان والاسلام*. (ترجمة عباس التّرجمان. مراجعة حسين علي شعيب.، المحرر) بيروت- لبنان-: دار الأمير للثقافة والعلوم.

محمد سبيلا. (2007). *الحداثة وما بعد الحداثة* (المجلد الثانية). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

معن الطائي وأماني أبو رحمة. (2011). *الفضاءات القادمة ، الطريق الى ما بعد الحداثة*((المجلد الأولى). القاهرة: مؤسسة روافد للدراسات والتّرجمة والنشر.